اليهود في فلسطين ومستعمراتهم

للاب هنري لامنس اليسوعي

اتتنا الاعداد الاخيرة من جرائد الاستانة العليَّة وفيها كلام مُسهب عن اليهود وانتشارهم في فلسطين. وربَّما استلفت اصحاب هذه المقالات انظار ذوي الامر الى استدراك ما يعدُّونهُ مخالفًا لنظام الدولة ويزيدون قولهم بذكر الاوامر الشريفة التي كرَّرتها مرارًا الحضرة السلطانيَّة في هذا الشان. فكان ذلك داعيًا لنا الى البحث في المستعمرات اليهوديَّة في فلسطين لتفيد القراء عن عددها وشيء من احوالها مستندين في ذلك الى تقارير اعلنها اليهود في مجلَّاتهم ونقلتها عنهم مجلة الجمعيَّة الفلسطينيَّة (١. وقد تحقَّقنا بنفسنا صحَّة بعض هذه الاعلامات في سفرة باشرناها في تلك النواحي

المستعمرات اليهوديَّة في فلسطين خمسٌ تشتمل على عدَّة محالّ وهي: مستعمرة يافا وضواحيها. ثم مستعمرة القدس الشريف. ثمَّ صفد وبلاد بشارة. ثم حيفا وتوابعها واخيرًا مستعمرة الحوران وعبر الاردن

١ يافا وضواحيها

انشأت الجمعية الروسيَّة المدعوَّة « مساعدة الفلاحين والصنَّاع اليهود في فلسطين والشام » لجنةً في يافا سنة ١٨٩١ وأُنت تدبيرها المهندس زيب ڤيومكين وغاية هذه اللجنة ان تنظر في امور المهاجرين الاسرائيليين وتساعدهم ادبيًّا وماديًّا في ابتياع اراضٍ واسعة يقوم بتشييرها الافراد او الجماعات منهم

والجمعيَّة الروسيَّة المذكورة ليست سوى فرعٍ من جمعيَّة اخرى يهوديَّة ممتدَّة في بلاد كثيرة تُدعى « احبَّاء صهيون » (חובבי ציון) واعضاء هذه الجمعيَّة يتقدون في اوقات معلومة شيئًا من الدراهم ثمَّ يقترعون على السفر الى فلسطين فمن خرج اسمهُ دفعت لهُ الجمعيَّة حقَّ السفر وعيَّنت لهُ ارضًا يفلحها في الاراضي المقدَّسة. وعدد اليهود اليوم في يافا ينيف على ٦٠٠٠ لهم محلَّة واسعة يدعونها المنشيَّة

وفي شمالي شرقي يافا على طريق نابلس ترى مقامًا يدعى « نوه صدق » נוה צדק فيه نيف وعشرون بيتًا قد ابتنتهُ جمعيَّة اخرى لليهود وهذه المنازل يدفع السكَّان حقَّها باقساط سنويَّة متعاودة. وهناك بستان واسع يخصُّ ورثة صاحب المصرف الشهير

(١ راجع Z. D. P. V., XVI, 192-201 et XVIII, 190

في لندرة السير موسى منتفيوري استأجرهُ بعض يهود القدس

وفي ضواحي يافا مستعمرات اخرى هذه اسماؤها:

١ً منزل اسرائيل (מקוה ישראל) موقعهُ على مقربة من يافا بقرب طريق العربات المؤدّي الى القدس. وهو عبارة عن حديقة واسعة الارجاء كثيرة الاشجار وافرة الغلّات تبلغ سعتها نحو ٢٤٠ هكتارًا وقد جعلها منشئها شرل نتّر (Ch. Netter) سنة ١٨٧٠ لمكتب زراعي يتخرّج فيهِ زهاء ستين شابًا من اليهود على الفنون الزراعيّة

٢ً عيون قارة وفي العبرانيّة رؤوس صهيون (ראשי הגיון) على مسافة سبعة كيلومترات من قرية يازور على طريق غزّة وهي مستعمرة يهوديّة باشر بها سنة ١٨٨٢ ستّة اسرائيليين من الروس ثم دخلت في حمى البارون ادمند دي روتشيلد. وهناك مزدرعات واسعة تمتدُّ في مسافة ٥٩٤ هكتارًا ومما غُرس فيها اشجار اللوز والتوت والخروع وفي كرومها ما يقارب ٨٠٠,٠٠٠ جفنة اجتنى منها اصحابها في سنة ١٨٩٠ نحو ١٥٥,٠٠٠ كيلو عنبًا. وبيوت هذه المستعمرة خمسون بيتًا ولها كنيسٌ للصلاة ومستوصف ومدرسة وحكلادات واسعة وعدد سكّانها نحو ٢٧٠. وكان اصحاب هذه المستعمرة مصمّمين النيّة على فتح معامل جديدة للحرير والزجاج واستقطار الورد لكنّنا لا نعلم أخرج ذلك الى عالم الكيان او بقي في حيز الآمال. وهذه المستعمرة على ساقٍ من النجاح تالت ما لم تنلهُ غيرها من العمران. ولخمرها بعض الشهرة يتاجرون بهِ في البلاد واكثر غلّات هذه المستعمرة يبتاعها عتلة روتشيلد وهو قد جعل لكثير من المستعمرين راتبًا شهريًا

٣ً مُلك راوبين (נחלת ראובן) وهو وادي حسين في جنوبي المستعمرة السابقة على مسافة نصف ساعة منها مساحتها ١٣٥ هكتارًا. والفضل في انشاء هذه المزرعة لربّانيّ اسمهُ راوبين كان حاخامًا في خرسنة (Cherson) وهي تحت نظارة لجنة يافا الروسيّة. راعاها اثنا عشر عائلة يُعنون بغرس الكروم والاشجار المثمرة وتعسيل النحل وتحت ادارتهم كثيرون من الفلّاحين الوطنيين يكلّفونهم باتعاب الحراثة والاشغال الشاقّة ويكتفون بنظارة الاعمال

٤ً خربة ديران وفي العبرانيّة السهول (רחובות) بقرب بلدة رملة وهي مستعمرة أحدثتها جمعيّة اعيان اليهود الروسيين سنة ١٨٩٠ وهي عبارة عن ارض فسيحة لا تقلّ

عن ٩٥٠ هكتاراً مقسمة الى ٦٥ قسماً كافية لمعاش ٦٥ عائلة وقد غُرس في هذا المكان ١٧٠٠٠٠ جفنة و ١٠٠٠ فصيلة من التوت. لكنَّ اليهود لا يحبون سكنى هذا المكان وحراثتهُ والعيال الساكنة فيه الى الآن تبلغ العشرين

٥ً محطَّة عاقر (ويقال عكرون) وهم يدعونها تذكار بيت الله (מזכרת בתיה) جنوبي غربي الرملة بقرب يَمنية. وهي ايضاً من مشروعات البارون روتشيلد في سنة ١٨٨٣ مساحتها ٧٠٠ هكتار يستثمرها ١٥٠ يهودياً. ولهذه المستعمرة كنيس ومدرسة كعيون قساره

وقد مررنا في هذا المكان منذ سنتين فوجدناهُ عامراً زاهياً بضروب الاشجار المثمرة وكانت رباهُ مُتَشحة بثوب اخضر من المزدرعات تمتدُّ فيها سروغ الكرم النضرة لكنَّنا لم نشاهد شيئاً من الحبوب كالقمح والذُّرة مع احتياج الفلاَّحين الى هذه الغلاَّت والسبب أنَّ اليهود لا يجدون في الحبوب الارباح التي يقصدونها فيهملون زراعتها. وما اذهلنا في رحلتنا هذه انَّنا لم نرَ في الكروم والحقول غير فلاحين بلديين اجرهم اصحاب الملك باثمان بخسة. وبيوت هذه المستعمرة اذا شاهدها المسافر من بعيد حسنة المنظر مسقَّفة بالآجر الاحمر وجدرانها مبيَّضة باللاط. ولمَّا اقتربنا منها وجدناها قذرةً متداعية البنيان مع أنَّها حديثة البناء

٦ً قطرا (קטרה) من منشآت جمعيَّة «احبَّاء صهيون» بدأت سنة ١٨٨٤. موقعها على بعد ساعة من عكرون المذكورة. وكانت الغاية من انشائها إعانة بعض الدارسين الروسيين المهاجرين من روسيَّة حُتم عليهم ان يجرّدوا انفسهم للفلاحة. وليس فيها الآن الَّا عشرة بيوت يسكنها نحو تسعين نفساً من الطلبة المذكورين وهم اليوم يأملون تملُّك هذه الاراضي واستثمارها على حسابهم الخاصّ. ومساحة هذه المزرعة ٢٨٠ هكتاراً وهي تصلح للحبوب وعدد دواليبها ٨٠٠٠٠

٧ً قسطينة وتعرف ببئر طوبيَّا تُعَدّ ايضاً من مستعمرات اليهود تبعد ساعةً ونصف ساعة عن قطرا انشأها روتشيلد سنة ١٨٨٨ وخصَّصها بيهود بخارا واليوم يشتغل فيها عشرون فاعلاً كمَتمة لهذا الصرَّاف الكبير الثروة وسعة هذه الارض ٦٣٠ هكتاراً

٨ً امّ ليش (ملبس) وفي اصطلاح اليهود «فتح تقوه» (פתח תקוה)

على طريق يافا الى نابلس شمالي شرقي يافا تولها يهود القدس منذ سنة ١٨٧٨ فلم يستحسنوا هواءها. ثمَّ عاد المهاجرون الروس سنة ١٨٨٢ فاستوطنوها تحت نظارة جمعيَّة « احبَّاء صهيون » وهي ارض مساحتها ١٣٠٠ هكتاراً لروتشيلد منها ٥٠٠ هكتار يستثمرها ٩٤ عائلة اي نحو ٤٠٠ نفس وهي مقسَّمة بينهم الى ١٣٣ قسماً وقد غُرس فيها مئتا الف غرسة كرم. وكان قسمٌ من يهود ملبس سكنوا ضيعةً تدعى يهوديَّة تبعد عنها ثمانية كيلومترات الَّا انها لم تنجح

ولليهود في لدّ أرحية ومعمل لتصفية الزيت

٢ القدس الشريف وضواحيه

كان اليهود قبل بضع ثلاثين سنة يسكنون داخل اسوار المدينة المقدَّسة فلم يزل يتوارد عليهم المهاجرون ويزدادون سنةً فسنةً حتى اضطرَّهم الامر ان يبتنوا لهم منازل خارج البلدة فسكنوا في أحياء تولَّت بناءها جمعيَّات مختلفة وجعلتها في شمالي البلدة وغربيها وصارت هذه الحالّ متلاصقةً فتراها اشبه بمدينة كبرى تمتدُّ في ظهراني القدس بين باب العمود وباب الخليل

ثمَّ بنى المثري الشهير مونتيفيوري عند باب صهيون وبركة السلطان مستعمرةً كبرى قسمها بين اليهود المهاجرين من شمالي اوربَّة المعروفين بالاشكنازيم ويهود جنوبيّ اوربَّة من الاسبان والبرتغاليين المسمَّين سفارديم فاسكن الاولين في شمالي المستعمرة الجديدة ودعاهم « بيت ناتان » واترل الآخرين في الجنوبيَّة ودعاهم « عين موسى » وبيوت هذه المستعمرة يستأجرها اولًا اصحابها ولا يزالون سنويًّا يدفعون مبلغًا معلومًا حتى تصير بعد بضعة اعوام ملكهم الخاصّ

ولمستعمرات القدس احياء عديدة يبلغ الحي من ٣٠٠ الى ٤٠٠ بيت ولكلّها اسماء عبرانيَّة تميّزها واقدم هذه الاحياء يدعى « نحلة شبع » اي ملك السبعة أُنشئ سنة ١٨٦٩. ثم « إبن يعقوب » اي صخرة يعقوب سنة ١٨٧٠. ثم « مساكن اسرائيل » قرب ميتم الالمانيَّات غربي المدينة ١٨٧٦. ثمَّ « مزكرة موشي » اي ذِكر موسى سنة ١٨٨٠. ثمَّ « أُهل موشي » اي خيمة موسى سنة ١٨٨٣. ثمَّ « سكُوت شلوم » اي مساكن السلام سنة ١٨٨٧. ثم بيت يهوذا سنة ١٨٨٨. ثمَّ « شعر فنا » اي حجر

الزاوية. ثمَّ « بيوت تيمن » سنة ١٨٩٠ لليهود المهاجرين من اليمن كانوا تقاطروا الى القدس ظنًّا منهم ان مسيحهم ظهر ليشيد ملك اسرائيل. ثمَّ « شمعون الصديق » سنة ١٨٩١. ولليهود بخارى محطَّتان تدعى احداها « بيوت بخارى » والاخرى « أُهل شلومو » اي خيام سليمان. هذا الى منازل اخرى كثيرة تحدق بالقدس كالسوار بالزند. امَّا عدد اليهود الساكنين في القدس وضواحيها فبين اربعين الفًا الى خمسين الفًا. واكثرهم يرتزقون بالصنائع والمتاجرة بالاشغال التذريَّة كالمسابح والصور لكنَّهم يفضلون الصرافة على ما سواها. واذا رأيت الدراهم في يد اليهودي قلت « أعطيت القوس باريها »

٣ صفد وبلاد بشارة

صفد احدى المدن الاربع المقدَّسة عند اليهود وهي: اورشليم والخليل (حبرون) وصفد وطبريَّة. وعددهم في صفد يربي على ثلاثة عشر الفًا لا يتجاوزها في ذلك غير القدس الشريف. وقد انشئت فيها سنة ١٨٩١ جمعيَّة تدعى « شجليم » اي الجليليين تسعى في اقتناء الارزاق ليمتلكها اليهود

وان سرت نحو ميلين غربي صفد وجدت ضيعة تُدعى ميرون يحجُّ اليها العالم اليهوديُّ لانَّ فيها على زعمهم قبور بعض مشاهير الحاخامين الاقدمين كيوحنَّان سندلار وشمعون ابن يوحاي والربَّانيَّين الاعظمين هلّل وشمَّاي. ولليهود طبريَّة هناك ارضٌ سعتها مئة هكتار. ولهم ١٣٥٠ هكتارًا في كفر سبت بين الناصرة وطبريَّة و ٤٥٠ هكتارًا عند فرعم بقرب صفد. ولبعض اليهود في حطّين ٩٠ هكتارًا ارضًا

امَّا مستعمرات اليهود في بلاد صفد فستٌّ:

١ً « روش فنا » اي رأس الزاوية مركزها في قريَّة جاعونة بين صفد والاردنّ لبعض يهود رومانية في سنة ١٨٨٢ وهي اليوم ملك روتشيلد بلغت مساحتها ٧٢٠ هكتارًا يفلحها ٢٠٠ عامل وفيها تزرع الحبوب ودواليها ٢٠٠٠٠٠٠

٢ً عين الزيتون شمالي صفد ابتاعها اليهود سنة ١٨٩٠ ليستثمروا غلَّاتها ومساحتها ٤٣٠ هكتارًا

٣ً مستعمرة (محنايم) مع ملحقاتها عرب الاكراد وعلما وماوطيَّة وهي اخصب قرى بلاد بشارة بين صفد وبحيرة الحولة. وكل هذه الاملاك تخصّ روتشيلد وهي واسعة جدًّا فان محنايم وحدها مساحتها ٤٧ هكتارًا

٤ مستعمرة جسر الاردن المعروف بجسر بنات يعقوب. اشترى هناك بعض ذوي الثروة من اليهود سنة ١٨٨٤ اراضي تبلغ سعتها ٢٠ هكتار واحلّ فيها قومًا من امّته ليتملكوها شيئًا فشيئًا بأجور شقائهم

٥ « مشمر هيردن » اي حراسة الاردن وهي قرب مستعمرة جسر الاردن تبلغ ١٨٠ هكتارًا امتلكها ربّانيّ من صفد وغرس فيها ٧٠٠٠٠ دالية لعصر الخمرة

٦ خربة زبيد وبالعبرانية יסוד המעלה على شاطئ بحيرة الحولة اقتناها يهود روسيون سنة ١٨٨٣ ثمّ تملّكها روتشيلد سنة ١٨٨٨ مساحتها ٢١٦ هكتارًا. يسكنها قوم من اليهود ويرتزقون بتقطير الماورد وصيد سمك البحيرة الّا ان الحميّات تكثر فيهم وتفتك بكثيرين

وقد سمعنا ان اللجنة الفلسطينية الباريسية حصلت منذ زمن قريب على الف هكتار من الاراضي الواقعة غربي عيون الاردن حيث تملّكوا قرية المُطلة. واليوم ترى السماسرة اليهود يطوفون معاملة مرج عيون لتحصيل املاك جديدة فيها

٧ حيفا وملحقاتها

كانت لجنة « احباء صهيون » في عام ١٨٩١ تملّكت ضيعة كفرعتًا ثم بادرت ان تشتري جزافًا بقاعًا واسعة على سيف البحر بين حيفا وعكّا ولمّا كان الامر على وشك التجاز عامت الحكومة السنيّة بهذا الامر وفُسخ عقد البيع بارادة سنيّة لئلا تقع كلّ سهول عكّا الخصبة في ايدي اليهود

ولبني اسرائيل مستعمرات زاهرة في زمّار وخضيرة فالاولى عبارة عن ١٣٠٠ هكتار بين القيسارية والكرمل يدعونها بالعبرانية « ذكر يعقوب » ولهذه المستعمرة ضيع تلحق بها كفلنطورة وامّ الجمال وام التوت وكفارة وعتليت. واهل هذه الحطّات نحو الفي نفس. انشئت هذه المستعمرة سنة ١٨٦٢ وهي اليوم تحت حماية روتشيلد الذي لا يزال يُعنى بتحسينها وتوسيعها. امّا خضيرة فقد امتلكتها شركات روسيّة سنة ١٨٩٠ وغرست فيها ١٥٠٠٠٠ نصبة كرم

ولهم ايضًا املاك واسعة عند جبل الطور في مكان يعرف بالشجرة وفي سهول مرج ابن عامر. قيل انهم استملكوا هناك نيّفًا والفي هكتار

وفي البطائح المذكورة مكان يدعى ابا شوشة مساحتهُ اربعة آلاف هكتار تخص

اليهود القدسيين برغيم (Berghcim) اصحاب مصرف في اورشليم . ويقوم بشؤون هذه الاراضي فلاحون بلديون يؤدُّون ربع غلاَّتهم لاصحاب الملك

٥ حوران وعبر الاردن

ان املاك اليهود في حوران اوسع من مقاطعة كبرى من مقاطعات الشام . ولجنتهم الفلسطينيَّة في باريس قد تمكَّنت في عام ١٨٩٢ من ابتياع ١٢٠٠٠ هكتار في جوار قرية شيخ سعد تشتمل على ضياع سحم جولان وجلين وتلّ عميدون وبيت اكّار الخ خلا ٩٠٠٠ هكتار غيرها جعلها اليهود ملكاً لهم في محلات اخرى كبيتيما وخان الشيخ قريباً من دمشق عند سفح جبل حرمون

لكنّ اليهود يعرفون من الاسفار القديمة ما لبلاد جلعاد وموآب في عبر الاردن من الخصب والدسم فلم تَلَّ بهم عنها بارقة الطمع وحاولوا امتلاك تلك الاقطار . ولمَّا كان اللورد غوشن الانرايلي سفيراً في الاستانة عرض على الحكومة السنيَّة ان يجعل تلك النواحي التي مساحتها نحو ٦٠٠٠٠٠ هكتار مستعمرةً لليهود تحت نظارة الباب العالي يسوسونها كما يشاؤون بشرط ان يدفعوا لمولانا السلطان مبلغاً عظيماً من الدراهم لا يقلّ عن بضعة ملايين من الفرنكات

غير ان الدولة السنية لم تلبِّ دعاء اللورد غوشن واغنياء اليهود فذهبت آمالهم ادراج الرياح . وكانت غايتهم بذلك ان يمهدوا الطريق لابناء جلدتهم لانشاء مملكة مستقلة في الاراضي المقدسة كما كانت قبل المسيح

هذا ولم يزل اليهود يطمحون ببصرهم نحو عبر الاردنّ . ولما اجتزنا منذ ثلاث سنين في تلك الاقطار اخبرنا مختار مُكيس ان للبارون دي روتشيلد عمَّالاً في تلك النواحي يطوفونها في كل جهاتها ليمتلكوا لسيِّدهم اراضي يجعل فيها اليهود ليفلحوا ويستغلُّوا غلاتها

فممَّا تقدم يظهر انَّ لليهود في فلسطين نحو خمسين الف هكتار . اما عددهم فقريب من ٨٠٠٠٠ نفس وهم في ازدياد متداوم لانَّ مهاجرة اليهود الى الاراضي المقدَّسة متواصلة يتقاطرون اليها من كل انحاء العالم